

## ٤٦ - المصريون المحدثون

## شعائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المحقق الإنجليزي إدوارد ولجم لين

للأستاذ عدلى طاهر نور

## الفصل الرابع عشر

العنصر

من المحزن أن يوازن المرء بين فقر مصر الآن، وبين رخائها قديماً حينما كان اختلاف الصناعات وأناقها وإتقانها تشير إعجاب الأمم المجاورة . وكان المصريون في غنى عن التجارة الخارجية لتنمية الثروة أو زيادة الرفاهية . وقد دل الكشف عن الآثار على أن المصريين انفردوا إلى حد كبير في السمو بالفنون في عهد موسى وقبل ذلك أيضاً . ولم يكن الفراعنة والكهنة وقواد الجيش في تلك الأزمنة النابرة يمشون وحدهم في ترف رفيع ويلبسون أرق الأنسجة الكتانية ويجلسون على سرر وكراسي تستخدمها نماذج لأنماط أبحاثنا الحديثة ، بل كان الكثير من أغنياء المزارعين وغيرهم من الأفراد كأولئك . ولا تزال الطبيعة تجود بنعمها على سكان وادي النيل ، كما كانت في قديم الزمن . غير أن المصريين لم يعودوا بنعمون لعدة أجيال بحكومة مستقرة ، فكان كل من الولاة المتعاقبين في هذه المدة الطويلة يعمد إلى تنمية ثروته الخاصة ، لعدم توحد ولايته . وهكذا هلك بالتدريج كثير من المصريين وقضى على الباقي أن يمينوا في عوز أليم . وإذ كان الذكور من السكان يكاد عددهم يزيد على القدر اللازم لزراعة الأراضي التي ينفمرها الفيضان أو يسهل ربيها بالوسائل الصناعية ، كان عدد هؤلاء الذين يجتفون الصناعة في هذا البلد شديد القلة نسبياً . ولا تتم أعمال المصريين عن براعة كبيرة لقلة التنافس وعدم تشجيع الأغنياء . غير أن

انحطاط الصناعات اليدوية يرجع إلى حد بعيد إلى سبب آخر وهو أن السلطان سليم التركي بعد أن غزا مصر نقل على ما قال الجبرتي<sup>(١)</sup> عدداً كبيراً من البارعين في الحرف التي لا تمارس في تركيا ففقد بذلك على أكثر من خمسين صناعة يدوية في مصر

تحريم الإسلام كما سبق أن بينت ، استخدام التصوير والنحت في رسم الأحياء ، غير أن بعض المسلمين المصريين يحاول رسم الرجال والأسود والجمال وغيرها من الحيوان والزهور والقوارب وذلك على الأخص لزخرفة واجهات الحوانيت وأبواب الحجاج كما يقولون ، وإن كانت محاولاتهم هذه تفوقها رسوم صغار الأطفال عندنا . ولكن الدين الإسلامي يرس الصناعة خاصة باستلزامه أن يعرف كل امرئ فناً أو عملاً يمكنه وقت الضرورة من سد حاجته وإعالة من يتولى أمرهم والقيام بواجباته الدينية والأدبية . ويبرع المصريون على الأكثر في فن الهامة ، فتجد أجمل نماذج الهامة العربية في العاصمة المصرية وضواحيها . وليست المساجد والأبنية العامة الأخرى وحدها هي التي تستحق الاعتبار لعظمتها وجمالها ، ولكن الكثير من المساكن الخاصة أيضاً تثير الإعجاب ولا سيما هيئتها الداخلية وزخرفها . على أن هذا الفن كأغلب الفنون الأخرى انحط كثيراً في السنوات الأخيرة ؛ فقد أخذ المصريون عن الأتراك طرازاً جديداً ساذج الشكل بعضه شرقي وبعضه أوروبي وفضلوه على العربي . وتم الأبنية ذات الطراز القديم ، أبوابها ومقوفها وبلاطها ، التي سبق وصفها ، عن ذوق فريد . وكذلك أكثر الصناعات المصرية تم عن الذوق وإن كان الكثير منها ينقصه الإتقان . وكان الخراطون ، وشغلهم الأول عمل الشبايك ، كثيرى العدد ، وكان عملهم حينذاك أكثر إتقاناً ؛ أما الآن فقد قلت أعمالهم ، لأن نوافذ

(١) في إبداء كتابه ( المؤلف )

قال الجبرتي في الجزء الأول من تاريخه عند ذكر ملوك الجراكسة : « وأخذ ( أي السلطان سليم ) ضريبة ما انتقاء من أرباب الصنائع التي لم توجد في بلاده بحيث أنه فقد من مصر نيف وخمسون صنعة » ( للتوهم )

في الأفران ، فوق الحصر أو على الفس حادة ، على طبقات ثلاث يملو بعضها بعضاً . وبحرقون السرقين ( الجلة ) في المواقد التي تملو الأفران ثم يقفلون مدخل العمل بإحكام . ويتقدم العمل حجرتان أو ثلاث حجرات صغيرة للمراقب والوقود والفراخ الناقفة حديثاً . ويجري هذا العمل شهرين أو ثلاثة في سيف كل عام . ويبدأ التفريخ مبكراً في الصيف . ويشمل كل معمل بين اثني عشر وأربعة وعشرين فرناً ، ويتلقى حوالي مائة وخمسين ألف بيضة في الموسم السنوي ، يخيب منها ربعها أو ثلثها . ويورد الفلاح البيض فيفحصه المراقب ويناول الفلاح عادة مقابل كل بيضتين فرخة صغيرة . ويستعمل نصف الأفران في الأيام العشرة الأولى ، وتوقد النار في المواقد العشرة التي تملوها ، ثم تطفأ في اليوم الحادي عشر . وتوقد المواقد الأخرى ويوضع البيض الطازج في أسفل الأفران . وفي اليوم التالي ينقل بمض البيض من الأفران السابقة ويوضع في رماد موافدها . وتظل الحرارة أثناء العملية بين مائة ومائة وثلاث درجات بقياس فارنهایت . ويعرف القائم بهذا العمل من تجاربه الطويلة الحرارة اللازمة لنجاح العملية دون الاستعانة بآلة ترشده لتعوده هذا العمل من صفه . وفي اليوم العشرين ينقل بعض البيض الموضوع أولاً . ولكن أغلبه يفرخ في اليوم الحادي والعشرين . وتوضع الفراخ الضعيفة في الدهليز وما بقي يوضع في أقصى الغرف الداخلية حيث تبقى يوماً أو اثنين قبل أن تسلم إلى مستحقيها . وعند ما تنقف البيضات الأولى ونصف الثانية تتلقى الأفران التي كانت فيها دفعة ثالثة ، ثم توضع دفعة رابعة بالطريقة نفسها عند ما تقرخ الدفعة الثانية . ولا يقل الدجاج الذي تقف بهذه الطريقة طعماً عن دجاج البيض الذي يحتضن طبيعياً . ويقل دجاج مصر وبيضه في كلتا الحالتين حجماً وطعماً عن دجاج بلادنا وبيضه . وقد وجدت في إحدى الجرائد المصرية التي تنشر بأمر الحكومة ( العدد ٢٤٨ : ١٨ رمضان سنة ١٢٤٦ ، ٣ مارس سنة ١٨٣١ ) الإحصاء التالي :

الوجه البحري      الوجه القبلي

٥٩

١٠٥

عدد معامل التفريخ في العام الحالي

٦٨٧٨٩٠٠      ١٩٧٣٥٦٠٠

عدد البيض المستخدم

٢٥٢٩٦٣٦٠      ٦٢٢٥٥٨٦٧

عدد البيض المطلوب

٤٦٣٤٩٢٤٠      ٣٠٦٩٧٣٣

عدد البيض المفقود

النازل الحديثة تصنع من الزجاج . ولا يظهر المصريون المحدثون في صناعة الزجاج التي اشتهروا بها قديماً مهارة كبيرة ، فقد انحط عندهم فن الزجاج الملون ؛ غير أنهم لا يزالون موضع الإعجاب في صناعة النوافذ الزجاجية وإن لم يكن ذلك بقدر ما كان في السنوات الماضية قبل أن ينقص تفضيل الطرز الجديد من أعمالهم . والصناعة الخزفية في مصر غليظة ، وهي تشمل عمل القلل والجرار لحفظ المياه وتبريدها . ويستحق المصريون الشهرة التي نالوها في مهارة إعدادهم السختيان . ويستعمل المصريون السمف وأوراق النخيل في صناعات مختلفة فيصنعون من السمف الأقفاص والكراسي والمناديق والسرر الخ ... ومن الأوراق السلال والقفف والحصر والمكائس والمذبات ، وغير ذلك من الآلات . ويفتخرون من ألياف النخيل أكثر الحبال المصرية . ويصنعون أحسن الحصر التي يستخدمونها صيفاً بدل البسط ، من البردى . وقد فقدت مصر الشهرة التي نعمت بها قديماً في صناعة الكتان الرقيق ؛ فاللابس الكتانية والقطنية والصوفية التي تنزل في هذا البلد غليظة المنف حقيرة

اشتهر المصريون طويلاً في صناعة التفريخ . ويبدو أن هذه الصناعة كانت شائعة في مصر في سالف الأزمنة وإن وصفها الكتاب الأولون وصفاً غامضاً . وهم يطلقون في الوجه البحري على البناء الذي يتم فيه التفريخ « معمل الفراخ » وفي الصعيد « معمل الفروج » . وفي الوجه البحري أكثر من مائة معمل ، وفي الصعيد أكثر من نصف ذلك العدد . وبين أغلب مراقبي هذه المعامل إن لم يكن جميعهم من الأقباط . وتفرض الحكومة على هذه المعامل ضريبة . ويبني المعمل بالآجر أو اللبن ويتكون من أفران ومواقد صغيرة للنار على صفين متوازيين يفصل بينهما دهليز مقنود ضيق . ويبلغ حجم كل من الأفران تسع أقدام أو عشرة طويلاً تقريباً ، ونحاً أقدام عرضاً ، وخساً أو ستاً ارتفاعاً . ويملأ كلا منها موقد مقبوع لا يختلف عنها حجماً والأفضل أن يكون أقل ارتفاعاً . ويتصل الفرن بالدهليز بواسطة فتحة تسمح للإنسان بالدخول كما يتصل الموقد بفتحة مماثلة . وتتصل المواقد في الصف نفسه بعضها ببعض أيضاً ولكل كوة في قبوه لمرور الدخان ولا تفتح إلا عرضاً . وكذلك الدهليز يوجد به عدة كوى كالسابقة في سقفه المقنود . ويوضع البيض

من الآستانة ، ويستوردون من آسيا الصغرى البسط وسجاجيد الصلاة والتين الخ ، ومن سورية الدخان والحرير المخططة والمباعات والصابون ، ومن جزيرة العرب البن والتوابل وعقاقير عديدة والسلع الهندية كالشيلان والحرير الموصلية الخ ، ومن الحبشة وسنار أقراص التمر الهندي والصمغ والسنا المكي ، ومن القرب ، أى شمال أفريقية غرب مصر ، الطرايش والبرانس والأحزمة وأحذية الجلد السخيتان الأصفر .

وأهم ما يصدر إلى أوروبا القمح والذرة والأرز والفول والقطن والنب واللب والتيلج والبن والتوابل المختلفة والصمغ والسني والعاج وريش النعام ، وإلى تركيا المبيد الأسود والأحباش ذكوراً وأنثاً والأغوات والأرز والبن والتوابل والحناء الخ ، وإلى سوريا المبيد والأرز الخ ، وإلى جزيرة العرب الحبوب خاصة وإلى سنار والبلدان المجاورة القطن والكتان والصوف وبعض الحرير المخططة السورية والمصرية والأبسطة الصغيرة والخرز وحلي أخرى ، والصابون والسيوف المستقيمة السابق ذكرها والأسلحة النارية والأدوات النحاسية وورق الكتابة .

هذه ظاهراً

( يتبع )

لا تزال تجارة مصر عظيمة وإن انحط شأنها كثيراً منذ اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح بين أوروبا والهند ، ونتيجة لسياسة محمد على وخلفائه باحتكار التجارة والاستيلاء على البضائع . وقد تقدمت التجارة كثيراً في السنوات القليلة الأخيرة لاستخدام البواخر الكثيرة بين الإسكندرية وأنجلترا وفرنسا والنمسا من ناحية ، وبين السويس والهند من ناحية أخرى ، وبإنشاء السكك الحديدية في الوجه البحري .

تستورد مصر الأقمشة الصوفية من أوروبا ومن فرنسا خاصة ، والشيت والموصلي الساذج والصور للعائم من اسكتلندة ، والحرير والمخمل والكريشة والشيلان المقلدة عن الكشميري من سكوتلندا وأنجلترا وفرنسا ، وورق الكتابة من البندقية خاصة ، والأسلحة النارية والنصال المستقيمة من ألمانيا وتستورد هذه للتوبيين الخ . والساعات والفناجين والأواني الخزفية والزجاجية المختلفة وأغلبها من ألمانيا والخردة والألواح الخشبية والمادن والخرز والتبيد وغيره من المشروبات . وكذلك يستوردون الرقيق الأبيض والحرير والتناديل والفوط المطرزة ومبامم الشبك والبواييج وضروباً من السلع المصنوعة والأدوات النحاسية والبرنزية الخ .

## سكك حديد الحكومة المصرية

### ازدحام الركاب بمدخل العربات

يتشرف المدير العام بإفادات نظر جمهور المسافرين بقطارات السكة الحديد إلى أنه طبقاً للفقرة السادسة من القرار الوزاري رقم ٤ سنة ١٩٢٦ لا يجوز لأى شخص الوقوف في مداخل العربات أثناء سير القطارات فقد اعتاد بعض المسافرين الوقوف في تلك المداخل أثناء سير القطارات حتى في الأحوال التي لا تكون فيها هذه القطارات مزدحمة بالركاب فأدى ذلك إلى وقوع بعض حوادث الإصابات والسقوط التي يؤسف لها . فالرجو من الجمهور حرصاً على سلامته أن يمتنع بتاتا عن الوقوف في هذه الأماكن حتى لا يقع تحت طائلة العقوبات التي فرضها القرار الوزاري المشار إليه .